جماليات المقالة عند علي جواد الطاهر

ولد د. علي جواد الطاهر (١٩١٩ - ١٩٩٦) ، وهو الأكاديمي المميز، وناقد القصة ، والشعر، والمسرح ، والرواية ، وهو من أخلص المشتغلين في الفكر والممارسة الأدبية بمفهومها الواسع في القرن العشرين فذرنفسه من أجل جمال العربية موهبها سبقاً وحسين مؤلفاً بين مطبوع ومخطوط في النقد والتحقيق والتعليق والمتابعة والمقالة والترجمة

إن المقالة من أدبي بناؤه اللغة والأفكار والكتابة النثرية كالكتابة الشعرية ، لا تصنع من فراغ وانما تؤسس بفعل تقاليد (الموهبة) فضلاً عن تقاليد الحياة التي يعيشها الكاتب قبل أن يمسك بتجليات اللحظة الابداعية المحكومة بشروطها : التاريخية والنفسية والفكرية .

وإذا كانت لغة المبدع شاعراً كان أم ناثراً هي الدليل الأكيد على وجوده لأنها لا سراب يخلن دراستها ، ويتبين خصائصها ومن ثم القول بحضارتها المتكاملة لطبيعة مادتها وجوهرها وأفكارها .

ولغة الطاهر تسمح بعقد معاشرة تذوقية تميز الاسلوب وتعين على كشف المضمار والموجهات .

والطاهر في مفرداته وتراكيبه ، وصوره ، وسعيه الحثيث لأن يميز اسلوبه في طريقة كتابية معلومة يتحصن بسلامة آرائه منشؤها :

١- إدامة النظر في العربية قراءة وكتابة ، وتعليماً .

٢- فضلاً عن وجود عنصري : الرغبة ، والمعرفة

إن ملامح اسلوبه تبدو واضحة في لغة رقيقة في مبناها ، واضحة في معناها ، سلسة في ترابط فقرها ، غنية بصورها يميل فيها إلى (التأنق) لحاجة يقتضيها الحال ، ولعل هذا لغة طبع جبل عليه الكاتب منذ نعومة أظفاره .. كان طالبة (المدرسة) أثر واضح في صقله وتهذيبه ، منذ كان طفلاً في الكتاب والمدرسة الابتدائية التي يذكر من معلميها (الشيخ عبد الرزاق السعيد ، وهاشم الطالبي) اللذين غرسا في نفسه حب العربية .

ولغة الطاهر تحيل شأنها شأن كل مدونة أدبية على مصادر سبق أن مارست توجيهها في أسلوبه ومن هذه المصادر :

1- القرآن الكريم

يبتعي الطاهر إلى جيل عراقي عرض على قراءة القرآن الكريم منذ وقت مبكر من حياته ومن يقلب مقالات الطاهر سيجد القرآن الكريم حاضراً في كل الصياغات والألفاظ والصور والتراكيب التي أغنت المقالة عن طريق الاقتباس الذي يزيد كلام المقتبس جمالاً وجلالاً .. فضلاً عن تأكيده المعنى ، وبث الروح البلاغي ، قال في نص تحدث فيه عن شعر يوسف الصائغ : ((كأنك في شعره في يوم القيامة ، ويوم ينفخ في الصور)) ، وقد اقتبس نصف الشاني كاملاً من القرآن الكريم ، وقال عن الشاعر نفسه : ((وربما ضاقوا به ذرعاً)) ، وهو قول مأخوذ من قوله تعالى : ((وضاق بهم ذرعاً)) .

فالقرآن الكريم كان قد بهر الطاهر فتسربت لغته في الصياغة والصور لتكشف عن ثقافة دينية ، وهناك مسألة أخرى تتصل في حضور الصور القرآنية التي تستمد نسغها من اللغة الكريمة لتشير الى استلهام مشبع بالفكر والتأمل المنسجم مع غرض واضح أنه بصورة صريحة يستلهم الصور القرآنية لغرض أخلاقي - أدبي يستمد شرعيته من الايقاع النفسي الذي يدرك - سلفاً - ما يترك في النفس ، وهذا تمة انسجام الكاتب مع نفسه ومارسه .

2- التراث العربي

شكل التراث العربي شعره ونثره مصدراً مهماً من مصادر أسلوب الطاهر في اللفظ أو المعنى أو الصياغة أو التراكيب ... ويبدو هذا وكأنه امتداد اجرائي لسلسلة قرائية سبق للكاتب أن مارسها مع نفسه وظلت حاضرة في وعيه .. ولعل الشعر العربي القاطبة ، وحضوره من المصادر التي أدت أثراً مهماً في تلوين لغة الطاهر ، ورسم أسلوبه .

قال مناجياً نفسه : ((وها أنت ذا ، من حيث تدري ولا تدري تحتل (بالمشاريع) ...)) وقوله فيه أثر واضح من بيت لشهير لعلي بن الجهم قال فيه :

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

وتتفتح لغة الظاهر على النثر العربي القديم لتأخذ منه صوراً وألفاظاً تذكر أولاً بالماضي لتحيل على الحاضر، ومررت في مقالة له عبارة: ((ما فات مات)) وهي عبارة تذكر بما يروى عن خطبة لقس بن ساعدة الإيادي تمثل فيها: ((من عاش مات ومن مات فات، وكل ما هو آت آت))

اذا شكل التراث العربي شعره ونثره مصدراً مهماً من مصادر لغة الظاهر في مقالاته وهذا التشكيل كشف عن سلطة أدبية مارست فعلها الثقافي والمعرفي في عقل الكاتب وأفكاره

٣- اللغة المعاصرة

ومررت في لغة الظاهر ألفاظ وعبارات وجمل اصطفاها الكاتب من اللغة اليومية (المعاصرة) لغة التعامل بين الناس، وهي غير العامية التي تهبط بالاسلوب درجات نحو الضحالة، انها بعبارة أدق لغة مشتقة من العربية (الفصحى) وهذا يعني انها فصيحة وان مصاحبتها أخذت منحى (شعبياً) يخلف المتن ويحيط باللفظ وجاء الظاهر بهذه اللغة لاصطفائه بالواقع المعاصر وحرصه على مطابقة المقالة بـ (مقتضى الحال) بلغة ميسورة لا لبس فيها ولا ابهام وهو لا يكتب لنخبة معينة من القراء.. انما مقالاته موجهة لكل الناس، ولغة الظاهر في مقالاته هي غير لغته في البحث والنقد والسبب واضح.. ففي البحث والنقد لا يكتب للجميع.. وفي المقالة يكتب للجميع يقول الظاهر عن الشاعر الجواهري: ((انه شاعر، وهو يعرف ذلك جيداً جداً)) ان (جيداً جداً) تعبير مأخوذ مما يقوله الناس في (تقويمهم) اليومي للأشياء وهو من العربية الفصيحة.

٤- المعرّب

عاش الظاهر في عصره مؤثراً ومتأثراً لذلك فان لغته خضعت لقوانين التأثير اللغوي فشاعت فيها الالفاظ المعرّبة وهي ألفاظ اخذها الكاتب من لغات اجنبية معروفة، أو من ترجمات جاهزة اجراها مجرى الكلمات العربية الاصل في المتن المقالي... من تلك الالفاظ: لفظة ((نموذج)) وهذه اللفظة تثير غضب اللغويين والنحويين (المحافظين) الذين ينكرون استعمالها مقابل انها اخذت موقعها الصحيح في سياق الجملة العربية بعد أن عربت عن الفارسية ((نمونة)) وانها في كل الاحوال لا تلغي الاستعمال الجميل للفظة ((مثال)).

ان دخول بعض الالفاظ الاوربية الى لغة الظاهر يعد مسألة طبيعية تقتضيها مرونة تلك الالفاظ وضرورات حضورها ثم ان هذه الالفاظ مما شاع في العربية لاسباب منها التأثير اللغوي - الحضاري لثقافة الغرب، واللغة المطورة

This document was created with Win2PDF available at http://www.daneprairie.com.
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.